جماعة (بوكو حرام).. نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا

د. أحمد مرتضى (*)

مقدمة:

نتيجة انحسار سيطرة الدولة الإسلامية عن العالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر الهجري - بدايات القرن العشرين الميلادي -؛ كثُر انبثاق الجماعات الإسلامية، وأصبح ذلك من إرهاصات عصر العولمة في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

والهدف من هذا البحث هو القراءة الواعية لحركة «جماعة أهل السنّة والجهاد»، المشهورة بـ «حركة بوكو حرام»، وذلك من حيث نشأتها، وتبلورها، والنظر في مبادئها، والأدلة التي استندت إليها، وهذا يقتضي التعمق في أدبياتها، والتأمل الدقيق للأقوال الصادرة من علماء الحركة، من أجل تكوين رؤية واضحة سليمة الدعائم.

ويعتمد هذا البحث على الأشرطة التي بثّ قادة الحركة فيها دعوتهم، وشرحوا خفاياها وزواياها، ومجموع هذه المفردات إذا صيغت في منظومة متحدة السياق تفيد في تحقيق هذه القراءة؛ إذ بهذه الطريقة فقط نستطيع أن نقوّم هذه الجماعة تقويماً مناسباً لمقتضيات بروزها على الصعيد الوطني، وصمود أعضائها على آراءهم.

أولاً: المفهوم الحقيقي وتداعيات النشوء:

الاسم الحقيقي لهذه الحركة هو «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد»، وهو الاسم الذي يردّدونه ولا يرضون لهم اسماً سواه، وأطلق عليهم الناس، وبخاصة الإعلاميون، اسم «جماعة بوكو حرام»، وهذه التسمية قد شجبها أعضاء الحركة، ويفضّلون التسمية التي اختاروها لأنفسهم.

وأما مفهوم «بوكو حرام» المشاعة، وهي كلمة هوساوية، فلم يكن يعرفه سوى أهل الهوسا، وهي كلمة مركبة تركيباً مزجياً من لغتي الهوسا واللغة العربية، وقد كان الهوساويون يستعملون كلمة «بوكو» ويعنون بها «نظام التعليم الغربي»، وإذا أضيفت إليها كلمة «حرام» أصبح المعنى: نظام التعليم الغربي حرام، وبالأحرى أن تُفسر الكلمة بمحتواها الدلالي، وليس وِفق الترجمة الحرفية، وعلى ذلك يمكن أن تكون الترجمة الصحيحة هي: «اتباع النظام التربوي على السياق الغربي حرام».

ولم يشتهر لقب «بوكو حرام» اشتهاراً على مدى أوسع إلا بعد الاشتباكات الأخيرة في شعبان من السنة ١٤٣٠هـ / يوليو - أغسطس ٢٠٠٩م، وإنما اشتهر المنتمون إلى «محمد يوسف» في ولايتي «برنو» و «يَوبي» بـ «اليوسفيّين»، نسبة إلى اسمه، ولا يرون غضاضة في إظهار هذه التسمية اقتناعاً منهم بها في تلك الفترة.

وأما «بوكو حرام»؛ فهي تسمية مشتقة من الفكرة التي يكثرون ذكرها مراراً لنصيحة المسلمين، وبخاصة الآباء، وطلبة المعاهد والجامعات، وسائر المعتنين بالتربية، فلُقّبوا بها من باب التلقيب بما أكثر المرء من ذكره.

للناس من الكُتّاب والصحافيين، حتى العوام، تفسيرات عدة في تحديد المقصد الحقيقي لـ «بوكو حرام»، ولعل ذلك ناشئ عن عدم تداول أشرطة علماء «بوكو حرام» على نطاق واسع بين الأوساط العلمية وجمهور الناس، ولكن خير من يُعرب عن مفهوم الحركة هو زعيمها «محمد يوسف»، فقد كانت له خطب ومحاضرات خاصة بتفسير مقصدهم من تحريم دراسة «بوكو».

بعد إلقاء زعيم الحركة «محمد يوسف» محاضرة في ولاية «يُوبي Yobe»، أجاب عن سؤالات وُجهت إليه، كان من ضمنها سؤال عن مقصوده بتحريم «بوكو»، فقال: «يعنون بذلك الدراسة في المدارس التي أسّسها المنصِّرون، ويشمل هذا: المناهج الدراسية المقرّرة منذ الابتدائية، مروراً بالثانوية والمعاهد، إلى الخدمة الوطنية، حتى العمل».

(*) قسم الدراسات الإسلامية - جامعة بايرو- كانو.

خلفية لا بد منها:

قبـــل ٢٠٠٢م لم يكن هناك فكـرة لحركة «بوكو حرام»، وإنما تمّ تأسيســها بعد حادثة ١١ من سـبتمبر، والأســتاذ محمد يوســف من مواليد قرية نائية في منطقة يُونوساري من بلدة «غَشُوَ Gashuwa» من ولاية «يُوبي Yobe» حالياً في شــمال نيجيريا(١)، قبل اثنتين وثلاثين سنة من تأسيس الحركة.

فـــي منتصــف الثمانينيــات ظهرت حركــة «الإخوان المســلمين Yan Brothers» على المسرح العلني بزعامة إبراهيم الزكزكي، وقد اكتسـبت حركته شباباً كثيرين، وقد انتظم «محمد يوسف» في هذه الحركة، المعروفة باعتمادها أسلوب الحماسة، وإثارة العواطف ضد الدولة باسم الدين.

وكان اهتداؤه إلى جماعة أهل السنّة والجماعة متأخراً، و «أبو يوســف» - كبعض الشــباب المتحمّــس- لم يلتحق بالدراســة النظاميــة، وإنما التحق بالفصــول الليلية لمحو الأمية بمعهد الكانمي، ولكنه انفصل عنها بعد الفترة الثانية، وكانت مدة دراسته فيها سنة كاملة، إلا أنه أتقن القرآن اتقاناً في المدرســة القرآنية التي يتولاها والده، وقد حضر دروس بعض رموز السنّة في نيجيريا، وبعد الاهتداء إلى العلم عكف على الكتب الدينية باجتهاد شخصي.

وقبل ١٩٩٤م بقليل ظهر التشـيُّع والميل إلى العمالة للجمهوريــة الإيرانية في تصرفــات زعيم جماعة الإخوان المســلمين «إبراهيم الزكزكــي» وبعــض المقربين منه، فتفككت جماعــة «الإخوان» إلى كتلات، اســتمر بعضهم مع الزعيم الشــيعي، وتوجه بعض آخر نحو السلفية، بينما أســس آخرون جناحــاً جديداً على خطى الإخوان باســم «جماعــة التجديد الإســلامي»، ورأوا الحفاظ على منهج «الإخوان» الســابق بفارق جذري هــو قطع الصلة بالجناح الشيعي بتاتاً، وبقي أمير كلّ بلد مع تابعيه؛ منتمياً إلى أحد الأجنحة الثلاثة؛ إما إلى الحركة الأولى بتوجهها الشــيعي، وإما إلى الحركــة الثانية برأيها التجديدي، أو الانتماء إلى أهل السنّة والجماعة.

تأسيس الحركة:

وفي غضون ١٩٩٩م خضعت جمهورية نيجيريا - للمرة الثالثــة - للنظــام الديمقراطي، ولكن حاكــم زنفرا الحاج أحمد ثاني يَرِيْمَابَكُورَا وجد في دستور الجمهورية النيجيرية مسوّغاً لإعلان تطبيق الشريعة في ولايته ٢٠٠١م، ودعا سائر حكام الولايات الشمالية إلى ذلك، فاستجابت بعض الولايات للدعــوة، بعد إلحاح شــديد من قِبل رعايا هــذه الولايات، فأعلنت حوالي اثنتا عشــرة ولاية تطبيق الشريعة الإسلامية في حدود تخومها.

لا ريب أن الأســتاذ محمد يوســف قد تأثر بانشــقاق «جماعــة الإخــوان»، فتمكّــن بصفته أحد رمــوز الإخوان من قيادة الفرقة التي انشــقت معه، واســتمر في تعليمهم وتوجيههم، واقترب من «جماعة إزالة البدعة وإقامة الســنّة» جداً، ثم أصبح صدراً في ولايتي «يُوبي» و «برنو»، وبقي حيناً من الدهر على ذلك.

وبدأت أفكاره تتطور، ويُدخــل تعديلات يراها تقدّمية في مجال الدعوة، لحدٍّ ملفت للنظر، ويرجع ذلك - كما قال الأستاذ محمد يوسف نفسه - أنه بعد انضمامه إلى جماعة الإزالة، كان هناك ثلاثة مســاجد يتشــاركون فــي إدارتها، فحصل تنازع فــي الإدارة بين أصحابه وبين جماعة الإزالة، وانتهى التــنازع أخيراً بانحياز طلابه إلى أحد المســاجد، وتركوا المســجدين الآخرين لجماعة الإزالة(٢)، وهذه نقطة البداية، واســتمر مع جماعته حتى اســتقل بتأسيس حركة «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد» حوالي عام ٢٠٠٢م.

ثانياً: المواجهات المسلحة:

ترجع بداية المواجهات المســلحة إلى انبعاث جماعة - ممــن تأثــروا بدعوة «محمد يوســف» - للاشــتباك مع رجال البوليس عــام ٢٠٠٣م، بدأت الأحــداث حين اعتزل بعضهــم زاهدين عــن الدنيا منعزلين عــن الناس في قرية «كَنَمَّ Kanamma» وفي بلــدة «غَيْدَمْ Gaidam» بالقرب من جمهورية النيجر، فاشــتُبه في تصرفاتهم، وأُبلغت عنهم الشرطة، فتحقّقت الشرطة منهم بلا جدوى، ولكن أُبلغ عنهم للمرة الثانية بســبب ما يقومون به من أعمال مشبوهة، وفي

(١) عمر الكدي: زعيم «بوكو حرام» النيجيرية.. نهاية غامضة لرجل غامض، على هذا الموقع: http://www.rnw.nl/arabic/article/15235

(٢) أجوبته لتساؤلات بي.بي.سي، بعنوان: BBC Interview with Boko Haram Leader.

هــذه المرة هجم عليهم رجال البوليس والجند، وتركوا منهم قتلى وجرحى.

وفي حملة مقابلة؛ خرجت مجموعة برئاســة الشـيخ «بَابَ Baba» بغضبة عارمة للأخذ بالثأر، اسـتأصلوا فيها رجال الشـرطة الذين قابلوهم في الطريق، وقطعوا مسافة طويلة مشياً على الأقدام حتى وصلوا «دماتُرُو» عاصمة ولاية «يوبي».

ومجموعات «كنّم» متشـدّدون لحـدّ أنهم يكفّرون حتى محمد يوسف حسـبما يقول هو نفسه[1]، ولم ينشرح صدره بخروجهم، للعلاقــة المعروفة بينه وبينهــم، وقد بلغه خبر الخروج وهو في المملكة العربية السعودية، ومع ذلك انهالت عليه حكومة نيجيريا بالتهديد والضغوط، فبقي هناك قرابة ثلاثة أشهر، حاول بعدها الرجوع فأقنعه بعض الناس ليبقى إلى وقت الحــج، وكان الباعث الحقيقي لزيارته في رمضان عام ٢٠٠٣م هو العلاج في مستشــفيات المملكة، وعلى أية حال؛ فذلك الخروج يطلق عليه أعضاء الحركة في أدبياتهم بـ «جهاد كَنَمَّ JihadinKanemma».

ومن ثم اســتمر «محمد يوســف» يواجه التحديات من قبل حكومــة ولاية «برنو»، والحكومــة الفيدرالية بالمراقبة والتفتيش، وكان بعــض الدعاة يتهمونه بالغلو والتطرف، في حين أن بعضاً آخر من رجال الدعوة ينصحونه بأن يســتبدل الضجيج بالهدوء ونشر العلم.

على الرغم من ذلك؛ فقد اتخذ «يوسف» مدينة «برنو» معقلاً لدعوته، استمر فيه ناشطاً في تحريض الشباب على الجهاد ضد ظلم الحكام، وتحذير الناس من الدراســة على نمط «بوكو»، وضد كل ما يتّسم بـ «الحداثة»، ولم تفتر عزيمة «محمد يوســف» في هذه الفترة عن التجــوال في كلّ مدن شمال نيجيريا من «برنو» إلى «صكتو» لإلقاء محاضراته في الدعوة والاستعداد للجهاد.

وقد وفّق لحشد مجموعة من الشباب المتحمّس لإقامة الدولة الإســلامية، جــاؤوا إليه مبايعين مــن الأماكن التي انتشرت فيها دعوته، وخصوصاً من ولايات الشمال الشرقية الخمــس، وهي: «غومبي» و «أدماوا»، بالإضافة إلى «برنو» و «يوبي» و «بوثي».

وانتشــرت دعوة الحركــة أيضاً في ولايات الشــمال الغربي، وهي: «كانو»، و «جيغاوا»، و «كتســينا»، و «صكتو»، و «كبي»، وتجاوب معــه فيها عدد قليل، وإذا هاجر الناس إلى «برنو» يتجمّعون في المركز، وفي حارة «قَوزَاري Gwazari» علــى طريق الذهاب إلى حارة «رُوَنْزَافِي RuwanZafi» في «ميدغري».

مجزرة شعبان ١٤٣٠هـ / يوليو ٢٠٠٩م:

وفــي بداية ســنة ٢٠٠٩م صــدر قرار مــن الحكومة الفيدرالية باســتعمال القلنســوة الواقية للرأس، وقد تزامن هــذا مع تحايل قام بــه بعض الســارقين لاغتصاب أموال طائلة من والد حاكم ولاية «برنو» - على ما يقال -، فاشتط الحاكم غضبــاً وأمر رجال البوليس بتنفيذ قرار القلنســوة الواقية في أطراف ولاية «برنو»، وســمّى مهمتهم الخاصة بـ Operation Flush Out ، وقد نفذوا تلك المهمة بتشدد بالغ، تأذى منها شعب ولاية «برنو».

وفي هذه الأثناء خرج بعض أتباع «محمد يوسف» لحفر قبر دون القلنسوة الواقية، فاستقبلهم رجال المهمة الخاصة بعنجهية واحتقار، ولما خرج سائر المشيعين للجنازة شاهدوا الوضع المهين لإخوانهم، فحصل اشتباك عنيف هناك، أسفر عن جرح قرابة ثمانية عشر رجــلاً من عناصر الحركة، لم تقبلهم المستشــفيات إلا بعد عناء، مما أدى إلى وفاة أربعة منهم.

غضب «محمد يوســف» من هذه العملية، وألقى خطابه المشهور، الذي أسماه «الرسالة المفتوحة إلى رجال الحكومة الفيدرالية»، هدّد فيه الدولة، وحدّد لها أربعين يوماً للبدء في إصلاح العلاقة بينها وبين حركته، وإلا ســيبدأ عملية جهاد على مدى أوســع لا يُوقفه إلا الله! فمضــت الأربعون يوماً بأيام قلائل، ولم تحرك الحركة ســاكناً، غير أن القيادة قد أعدّت - فيما بدا للمحللين - تنظيماً واستراتيجية استعداداً لخوض الحرب.

ظل أعضاء الحركة إبّان الأزمة يترقبون صدور فتوى من قيادتهم تبيــح لهم الانطلاق، وكانت تحركاتهم ومحاضراتهم وخطاباتهم في البلدان تنمّ عن الاســتعداد للمواجهة، ولهذا تحــرّك رجال الشــرطة في ولاية «بوثــي» وهاجموا تجمّعاً للحركة في مســجد لهم، فاندلعت الفتنــة عندئذ، وتأزمت العلاقة بين الحكومة وهذه الجماعة في تلك الليلة من شهر

(١) شريط «كشف الشبهات».

شــعبان من السنة ١٤٣٠هـ الموافق ليوم الأحد ٢٦ من يوليو ٢٠٠٩م.

وفي حركــة مقابلــة؛ اقتحم بعض عناصــر الحركة المســلحين مقــر الشــرطة الرئيــس بـــ «دُوطَنْ تَنْشِــنْ DutsenTenshin»، وبعــض المباني الحكومية في ولاية «بوثي»، فلم تستســلم الشــرطة، ودافعت مستميتة، فحصل نتيجة لذلك اشــتباك عنيف بين قوات الأمن والمســلحين في تلك الآونة، وفي الصباح تطايرت شرارة المواجهات إلى «دَمَاتُرُو» عاصمة ولاية «يوبي»، وانتقل الاشتباك بحرارة في نصف النهار إلى ولاية «برنو»، فتحوّلت العاصمة «ميدغري» إلى أرض المعركة، حيــث كان المركز العام للحركة، ومثوى رأسها، وكبار الدعاة إليها.

واستمرت المواجهات لمدة خمسة أيام، انتقلت عَدواها إلى كبرى ولايات شــمال نيجيريا: «ميدغــري» و «بوثي»، و «كانو»، واقتحمت قوات الأمــن معاقل الحركة في «بوثي» و «برنــو»، وحُوصر الذين ثاروا في قريــة «وُدِلْ WUDIL» بـ «كانو»، وأدى كلّ ذلك إلى مقتل أكثر من ســبعمائة شخص من بين رجال الحركة والشرطة والجند وغيرهم من الشعب، واضطر أكثر من ثلاثة آلاف وخمســمائة من سكان المنطقة للنزوح عن مساكنهم بعد اندلاع القتال.

نهاية المجزرة ومقتل زعيم الحركة محمد يوسف:

وفي أثناء المعركة اقتحمت الشــرطة والجند المسجد الذي يستخدمه الأستاذ محمد يوسف لدروسه ومحاضراته (المعــروف بمســجد ابــن تيميــة)، والواقع فــي المكان المعروف بالســكة الحديدية Railway على شارع «أَبَّغَنَرَمْ Abbaganaram»، وفجّروه تفجيراً بقذائف مدوية، صكّت الآذان، وارتعدت مــن أجلها الجدران، وكانت حصيلة القتلى في المســجد وخارجه قرابة مائة مــن عناصر حركة «بوكو حرام»[١]، وشــوهد رجال البوليس يأتــون بأعضاء الحركة، حتى بعض العرجــى منهم، فيطالبونهــم بالاضطجاع على بطونهم، ثم يطلقون على كل فرد منهم رصاصتين أو ثلاثة[٢]، وتوقفت المجزرة آنذاك بمقتل «محمد يوســف» نفسه بعد إلقاء القبض عليه، وإجراء محــاورة مع بعض الجنود وكبار الشــرطة، كما شاهد الكل ذلك مرئياً، لمدة خمس دقائق[٣]، ثم قتلوه مكتوف اليدين، ويقولون إنه طلب الصفح والعفو قبل مقتله[٤]، ولا ندري لماذا! وبعد الحرب حفرت الدولة المقبرة الجماعية لدفن الجثث في «ميدغري»[٥].

وكان مقتل «محمد يوســف» محاطــاً بغموض عظيم، وتفســيرات عديدة مــن قِبَل مصادر الدولــة، فمن يتحمل مســؤولية قتله؟ ولماذا؟ وما يثير دهشة بعض المحللين أنه لماذا لم يخضع للمحكمة حتى تُعرف التفاصيل عنه بمنطقه هو[٦]؟!

إعادة تشكيل المنظومة:

بعد مقتل «محمد يوســف» تحدث ناطق رسمي للحركة بأن مقتله لن يغيّر مجراهم، ولم يؤثر فيهم سلباً، بل حفّزهم على الاســتماتة وتنفيذ مشــاريعهم. ونقلــت هيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي في ١٦ أغسطس ٢٠٠٩م بياناً رسمياً

---

(١) Nigerian Army attacks Islamist mosque، kill»» .scores
الرابط: http://www.zeenews.com/news551374.html

(٢) نشرت محطة الجزيرة الإنجليزية بعض اللقطات التي ظهر فيها الإعدام العنجهي لبعض المتهمين بالانتساب إلى جماعة «بوكو حرام»: http://www.aljazeera.com/news/afri html.200973135730251561/07/ca/2009

(٣) راجع حوار محمد يوسف مع الجند قبل مقتله على هذا الموقع: http://www.youtube.com/watch?v=ePpUvfTXY7w&feature=related

(٤) جريدة الشرق الأوسط، مقال بعنوان: شرطة نيجيريا: زعيم «بوكو حرام» طلب الصفح قبل قتله: مقتل الملا محمد يوسف زعيم «طالبان نيجيريا» بعد اعتقاله، يوم السبت ٠٩ شعبان ١٤٣٠ هـ ١ أغسطس ٢٠٠٩م العدد ١١٢٠٤، على هذا الموقع: http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11204&article=529987

(٥) Newstime Africa، Mass Burial For Boko Haram Victims، http://www.newstimeafrica.com/archives/1397

(٦) News Africa، Profile: Boko Haram، Tuesday، February 09،2010http://english.aljazeera.net/news/africa.html
Steve Coll reports for The New Yorker، (Think Tank): BokoHaram،July، 2010 http://www.newyorker.com/online/blogs/boko-haram.html/08/stevecoll/2009
ومقال: البرلمان النيجيري يدعو للتحقيق بمجزرة بوكو حرام، السبت ١٣ فبراير ٢٠١٠م، على موقع: http://www.islamstory.com

أســفر عن تطوّر جديد للحركة، حيث تحدث فيه المدعو بـ «ثاني عمر»، وصف نفسه آنذاك بأنه «الزعيم بالنيابة»، ويعد بيانــه هذا الأول من نوعه عقب تلك الاشـتباكات الدموية، ذكر أن: «الجماعة ألحقت نفســها بالقاعدة، وأنها تنوي شنّ سلســلة من التفجيرات في شمال البلاد وجنوبها؛ ابتداء من أغسطس مما يجعل نيجيريا مستعصية على الحكم»[1].

وفي نهاية شهر يونيو ٢٠١٠م ظهر نائب «محمد يوسف» المعروف بـ «أبي بكر شـيكَو» على صفحة الإنترنت، مقنّعاً رأســه، ومدجّجاً بالبندقية أك ٤٧، وظهوره هذا يشبه الرد على إشــاعة مقتله ضمن مجموعة القتلـى، ظهر يؤكد أنه بالرغم من مرور ســنة كاملة على الهجــوم عليهم فإنهم ما زالوا ملتزمين بمبادئ الحركة، وعلى وشك شنّ هجوم عنيف على الغــرب الكافر ومتبعي أنظمتهم فــي نيجيريا[2]، ومن هنا أصبح الأستاذ أبو بكر شِـيكَو هو زعيم الحركة، ويلقّبه أعضاء الحركة بـ «الإمام»، وقد اسـتمر عناصر الحركة في النشاطات خفية بزعامته، ومساعدة نواب آخرين.

ويبــدو أن الحركة في هذه الفتــرة عملت على تحقيق هدفين:

أولاهمــا: تحرير أعضاء الحركة الذيــن أُلقي القبض عليهم، وزُجّ بهم في السجون.

وثانيهمــا: الدفاع عن النفس، وفي ســبيل الدفاع عن النفس ذكر «شيكَو» أن جماعته إنما تقاتل ضد ثلاثة أصناف من الناس، وهم: الشرطة والجنود المسلحون، والمسيحيون، ثم الوشــاة بالحركة وأعضائها، وأما جمهور الناس فقد أكد أنهم لا يمســونهم بسوء، وقد قال الأستاذ محمد يوسف مثل ذلك في محاضرة ألقاها يوم الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٣٠م.

وتتالت الأحــداث بتفجيرات وإطــلاق رصاصات هنا وهناك تستهدف أفراد الشــرطة والجند أو مراكزهم، وكان لـ «مَيدغري» قسـط كبير من الإغارة، وكذلك ولايتي «يوبي» و «بوشــي»، وهكذا مرّ عــام ١٤٣١هــ / ٢٠١٠م في تهارج واضطرابات وخصوصاً في الولايات الثلاث المذكورة.

وقــد كان عــام ١٤٣٢هــ / ٢٠١١م مليئــاً بالأحداث المختلفــة سياســية واجتماعية واقتصاديــة، خرج معظم النيجيرييــن لانتخابات إبرايل، فأصبــح جونثان هو رئيس الجمهورية، وقد أحدث هذا خنقاً مؤلماً للكثير من الشــعب المسلم، خصوصاً في الشمال.

وتزامنت هــذه الزوبعة مع التطهير العرقي الحادث في ولاية جوس، حيث قامت مجزرة كبيرة، لقي فيها المســلمون ألواناً من انتهاك الأعراض والغصب والقتل الوحشــي، عدة مرات، من أعظمها ما كان في شــهر مايــو، في أيام العيد، وهذا مما زاد الطين بلة، وأثار حفيظة المســلمين بمن فيهم «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد»، فتوسعوا في الإغارات والتفجيرات ضد المسيحيين.

وقد ذكرت بعــض التقارير أن أكثر من ٥٥٠ شــخصاً لقوا حتفهم في عام ٢٠١١م، في قرابة ١١٥ هجوماً[3]، سوى المصابين بالجروح والإصابات الخطيرة.

والســجل التاريخــي لنيجيريا لا ينســى كذلك ثلاث حملات كبرى مما شنتها هذه الجماعة في ذلك العام:

أولاها: كانت ضــد مكتب الأمم المتحدة بأبوجا، وذلك في ٢٦ من أغسطس ٢٠١١م، وهو في الحقيقة تفجير عنيف قُصف به مبنى المكتب، نتج عنه ســقوط خمســة وعشرين شــخصاً، وإصابة أكثر من مائة شــخص، وقد كشــف هذا التفجير أن أعضاء الحركة على اســتعداد لإجراء ما يُسمّى بتعبير الإعلاميين بـ «العملية الاستشهادية»[4].

وثانيهــا: هو التفجير الكبير الــذي يعد - في الحقيقة

(١) محيط - جيهان مصطفى: «بوكو حرام».. كابوس أوباما في نيجيريا، على هذا الموقع:
http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=332544

(٢) Ben Shemang, Boko Haram deputy alive, vows to continue anti-Western fight, 02 July 2010: http://www.english.rfi.fr/africa/20100702-boko-harma-deputy-alive-vows-continue-anti-western-fight

(٣) بي.بي.سي هوسا، أخبار المساء، ٢٤ من يناير ٢٠١٢م، وكذلك التقارير المنشورة بعنوان:- Nigeria: Boko Haram Widens Terror Compaingn, Bring Attackers to Justice, Step up Security, published by Human Rights Watch, @ www.org/news/2012/23/nigeria-boko-haram-widen-terror

(٤) راجع هذا الموقع لمشاهدة الرجل الذي نفذ العملية، وتحمل الحركة المسؤولية:
http://www.youtube.com/watch?v=U3WPW6tYbcw&feature=related

- الأول من نوعه، استهدف رئيس الشرطة النيجيرية الحاج حافظ رِنْغِمْ قبل عزله، وقع التفجير بالمركز الأعلى للشرطة بأبوجا، حيث فجر قائد السيارة نفسه، فلقي كثيرون مصرعهم، ونجا رئيس الشرطة من الإصابة، وكأن هذه الإغارة ردّ فعل لحديث تحدث به مع إذاعة بي.بي. سي - قسم الهوسا، كشف فيه عن خطة شاملة وعزم صارم للإطاحة بهذه الحركة.

والحملة الكبيرة الثالثة: كانت على كنيسة كاثوليكية في يوم عيد الميلاد للمسيحيين، يوم ٢٥ من شهر ديسمبر، في ولاية نيجر، بالمحافظة المعروفة بـ «مادَلّلا Madalla»، أدى الهجوم المفجّر إلى مقتل أربعين، وإصابة آخرين بجروح، ويُتهم اثنان من قيادات الحركة بهذه المهمة «كبير صكتو» و «بشير مادللا»، وقد ألقي القبض على الأخير في ١٧ من فبراير.

آخر تطورات الأحداث في عام ٢٠١٢م:

وفي ٢ يناير ٢٠١٢م أصدرت الجماعة تحذيراً للمسيحيين الموجودين في شمال نيجيريا بإخلاء الشمال كلياً في حدود ثلاثة أيام، وإلا فالويل والثبور لهم، وبعد ثلاثة أيام، وذلك في ٥ من يناير تحديداً، هجم عناصر الحركة على كنيسة في ولاية «غومبي»، وقتلوا زوجة أسقف الكنيسة مع ستة رجال آخرين.

وفي ٦ من يناير لقي اثنا عشر رجلاً من قبيلة «إيبو Igbo» مصرعهم بمحافظة «مُوبي» في ولاية «أدماوا»، وفي اليوم نفسه قُتل اثنا عشر آخرون في أثناء الطقوس في كنيسة في «يُولا»؛ عاصمة ولاية «أداماوا».

وفي ١٤ من يناير اعتُقل أحد المشتبَهين بتدبير الهجوم على كنيسة Madalla يُسمّى الأستاذ كبير عمر صكتو، ثم بعد أربعة وعشرين ساعة انفلت من الشرطة صدفة، لما ذهبوا به إلى مقره للكشف والتحقيق، وقد تعجب من هذه المهزلة الشعب النيجيري كافة، ووعدت الشرطة بمبالغ عظيمة لمن يدل عليه، ووقع «كبير صكتو» في كمين القوات الأمنية، وألقي القبض عليه من جديد في ٧ فبراير.

وفي يوم الجمعة ٢٠ يناير الساعة الخامسة مساء، اهتزت مدينة «كانو» بدوي الانفجارات المتتالية بعد تمام الساعة الخامسة مساء، وقد استهدف بها سبعة مواضع، كلها مراكز للشرطة، وذكرت المصادر الحكومية أن ما لا يقل عن ١٨٦ لقوا حتفهم جرّاء تلك التفجيرات بمدينة «كانو»، وهو أكبر عدد من القتلى في يوم واحد منذ بدأت الحركة بعمليات التفجير والهجمات المسلحة، الأمر الذي دفع الرئيس جونثان إلى زيارة مدينة «كانو» للتعزية ومشاهدة مدى الخسائر، وبعد رجوعه إلى «أبوجا» أعلن عزل القائد الأعلى للشرطة، الحاج حافظ رِنْغِمْ من أصل ولاية جِغاوَا، وأبدل مكانه الحاج أبو بكر من أصل ولاية زَنْفرا.

وظهر «الإمام شِيكَو» فيما أذاعته بي.بي.سي ظهراً في ٢٦ يناير، مُقراً أن جماعته هم الذين شنوا تلك الغارة الشعواء بأمر منه، وأظهر أنه حادث مفرح جداً، وألقى باللائمة على الحكومة لأنهم بعد انتهاء الإغارة بدأ رجال البوليس بإطلاق الرصاص عشوائياً على الشعب.

والملفت للنظر في يوم ٢٦ من يناير أن الرئيس جونثان طالب قيادة «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد» أن تظهر في الساحة، وأشار إلى إمكانية الهدنة مع الحركة لإيقاف المواجهات وإيجاد السلام الشامل.

وكأن خطابه هذا جاء استجابة لرغبة كثير من ذوي الهيئة في إيجاد جوٍّ لصالح الهدنة، لكن لم تستجب قيادة الحركة للدعوة إلى الهدنة، وقد ذكر «الإمام شيكو» في شريط مسجل في ١١ من يناير ٢٠١٢م، قبل تفجيرات «كانو» عبر موقع يوتيوب، أنهم يقبلون مبادرات الهدنة ما دام أنها موافقة للهدنة الشرعية المبيّنة في القرآن(١).

وفُوجئت بعض البيوتات في «ميدغري» ليلة السبت ٢٨ بحشد من الجند يتخطفون بعض الشباب، وبعد تجميع أحد عشر شاباً أطلقوا عليهم النار وأعدموهم، وظهر بعد ذلك أن أولئك الشباب كانوا من «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد»، وهذا بلا ريب مما يثير حفيظة زعماء الحركة.

وحصل في يوم ٢٩ من يناير شيء مهم للغاية؛ إذ تحدث «أبو القعقاع» المتحدث باسم الحركة مع الصحافيين، وذكر أنهم أرسلوا رسائل إلى سلطان مسلمي نيجيريا محمد سعد بـ «صكتو»، وبعض كبار السياسيين في تلك الولاية، مطالبين إياهم بالتدخل في إطلاق سراح رجالات الحركة المعتقلين، وإلا سيوقعون دماراً شاملاً كما وقع في أماكن شتى بولاية

---

(١) http://www.youtube.com/watch?feature=endscreen&v=wqLUUvvG5fg&NR=1

«كانــو»، وطالب في بيانه الحكومات بإطلاق ســراح أعضاء الحركة المقبوض عليهم رجالاً ونساء؛ أينما كانوا[١].

وذكرت القــوات الأمنية أنهم ألقــوا القبض على «أبي القعقــاع» المتحدث باســم الجماعــة ليلة ٣١ مــن يناير ٢٠١٢م[٢]، غيــر أن الجماعة أنكــروا القبض عليه، وتحدث «أبو القعقاع الحقيقي» مع الصحافيين، وأثبت أن المقبوض عليه ليس هو، وإنما يُدعى «أبو الدرداء»، وهو بالفعل من كبار عناصر الحركة، يشغل رئيس لجنة المفاوضات، وقد أرسلته الجماعة للاســتعداد للهدنة المطروحة، ولكن جاء القبض عليــه مخيباً للأمل وإجهاضاً لترتيبات الأمن والســلام في المستقبل.

وأضاف أن الحركة تتولى مســؤولية ذبح ستة أشخاص فــي «ميدغري»، وبيّن أنهم كانوا من قِبل من أعضاء الحركة ثم خانوها وأرشدوا الجند إلى أماكن وجود أحد عشر رجلاً مــن عناصرها، وهم الذين قتلهــم الجند، ولا ريب أن قتلهم تفســير تطبيقي لما تقوله الحركة حول حتمية الهجوم على الوشاة بها.

وفي ٧ من فبراير فوجئت ولاية «كدونا» بثلاث هجمات عنفية، ولم تسفر الهجمات عن قتلى، غير أن هناك كثيراً من المصابين بالجروح.

وفي أثناء هذه الأوضاع نشرت محطة تلفازية «NTA» شــريطاً، يدّعي فيه شــخصان متقنعان أنهما من الجماعة، واستخدم المتحدث بينهما اللغة الإنجليزية، وبيّن أنها عازمة على إجراء اتفاقيات الســلام مع قيــادات نيجيريا، وذكروا أربعة من كبار الشــخصيات، وهم: الشــيخ أبــو بكر غَيرُو، والدكتور شَتِيما علي منغُنُو، والحاج علي بُوكَر إبراهيم- حاكم ولاية «يوبي» الســابق، وشدّد على أن ما يبرمه هؤلاء الأربعة سيغير مجرى الأوضاع المتأزمة سريعاً.

ولكن فــي المقابل كــذّب المتحدث باســم الحركة المعروف بـ «أبي القعقاع» هذا الشــريط في تحاور هاتفي مع الصحافيين بـ «ميدغــري»، وأوضح أنهم لا يقبلون أي مبادرة للهدنة بعد القبض على «أبي الدرداء»، وأكبر شاهد على ذلــك الهجومات الثلاثة على ولايــة «كدونا»، الولاية التــي تمّ القبض فيها على «أبي الــدرداء»[٣]، ثم ظهر وزير الإعــلام النيجيري يبدي تشــكك الدولة فــي صحة ذلك الشــريط، وأنها ما زالت على اســتعداد للهدنة مع جماعة «بوكو حرام»[٤].

نتائج الأحداث والمواجهات السابقة:

أولاً: تعطل المصالح العامة، حيث فرض حظر التجوال فــي بعض المدن، فتوقفــت البنوك والأســواق عن العمل، وأُغلقــت المدارس، وتجمّدت المجالــسُ والمعاهد العلمية لعــدم توافــر الأمن، ودخل الشــعب النيجيــري، وبخاصة الشماليون، في معاناة ورعب من الأوضاع المتأزمة، وأخوف ما يخيفهم الجيش ورجال البوليس الموزّعون على الشــوارع والســكك، حيث يعاملــون الناس معاملة خشــنة بالتخويف والضرب وأخذ الرشاوي.

ثانياً: ظهور أصوات تنادي بتقســيم الدولة، فقد بدأت بعض القبائل تنادي بتقســيم دولــة نيجيريا إلى دولتين في الجنوب والشمال، وكانت قبيلة «إيبو» على مقدمة المناشدين لهذا التشقيق، وقد شجب هذه الدعوة بعض زعماء القبيلة، وكثير من كبار الشــماليين، ولكن ظهــرت أحداث خطيرة، حيث بدأ بعض الجنوبيين بالهجوم على المســاجد بالتحريق والهدم، الأمر الذي قد تشتعل به نار الفتنة!

ثالثاً: انتشار الفســاد بأضرابه في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية، حتى قطع شوطاً بعيد المدى في نيجيريا، وقد اســتطاع بعض المحتالين - وسط هذا الخضم - أن يلفّقوا الأكاذيب والحيل لأكل الأموال باسم الحركة، كما هو قد يدل على ذلك الشــريط المرســل إلى المحطة التلفازية السابقة؛ إذ لم تكشف المحطة مصدرها، ولــم يذكــر المتحدث فيه عن اســمه، بــل إن الجماعة لا تستخدم اللغة الإنجليزية أداة للنشر وتوجيه الخطاب للشعب أو لقادة نيجيريا.

وقد تزامنــت هذه الأحــداث مع البيان الذي نشــره البروفيســور وُلَيْشُــوِينْكَا، حيث ذكر أن حياته مستهدفة من

(١) http://www.9jabook.com/forum/topics/sss-arrests-boko-haram-leader-s-wife-son

(٢) http://www.bbc.co.uk/hausa/qaqaarrest.shtml_120201/02/news/2012

(٣) بي.بي.سي- قسم الهوسا، نهار الثلاثاء 2012/2/7م.

(٤) بي.بي.سي- قسم الهوسا، ليلة الخميس 2012/2/8م.

قبل عناصر «بوكو حرام»، وهذا مع أن البروفيسور معروف بانتقاده اللاذع للشماليين[1].

ثالثاً: مبادئ الحركة:

«جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد» من الحركات المعاصرة التي ترى أن تطبيق الشريعة لا يحصل إلا بالسلاح والمواجهة لإزالة الحكومة الظالمة، وردع معاونيها، وتوجّه الحركة الفعلي والمنهجية التي رسمها مرجعيتها يدلان على ذلك.

ونستطيع اكتناه المحتوى الحقيقي للحركة في دراسة متأنية لمبادئها والمناهج التي اختطّها أبرز قياداتها وعقلها المدبِّر، أعني الأستاذ «محمد يوسف»، لتحقيق الهدف وتفعيل الحركة، وكذلك ما يؤخذ من البيانات التي يصدرها قائدها «أبو بكر شيكو» على صفحات يوتيوب، فإن له دلالات ذات قيمة في تحليل اتجاه الجماعة.

وللحركة كتابات خاصة بحث فيها الكُتّاب منهم هذه المسائل، مثل كتاب «هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا» لمؤسس الحركة، وهناك كتاب آخر بعنوان «جاء الحق...»، أخفى مؤلفه اسمه الحقيقي، وسمّى نفسه «علاء الدين البرناوي»، وغير ذلك من الكتيبات، وقاموا بخطب منبرية، ومحاضرات توعوية كثيرة، بثّوها في أشرطة وسيديهات، حتى على الإنترنت.

وفيما يأتي نستعرض أبرز مبادئ الحركة:

هذه المبادئ والمناهج استخلصتُها من أشرطة قيادات الحركة وكتبهم، وليس محررة من قبلهم:

١ - إثبات الحاكمية لله تعالى وحده، وحرمة الديمقراطية لمضادتها الإسلام جملة وتفصيلاً، والسياسيون المنتخبون عن طريق الديمقراطية كلهم كفار؛ لإيمانهم بنظام يجري على الطرف النقيض للإسلام؛ «لأن الحكم بالقانون الوضعي كفر بواح»[2]، وينقد «محمد يوسف» قول القائلين: «لا يجوز الخروج، حتى ولو كان الحاكم كافراً تجب طاعته. لا شك أن هذا من جملة عقائد المرجئة...»، واستدل بحديث لتقوية رأيه، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله خطيباً، فكان من خطبته أن قال: «ألا إني أوشك أن أُدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي، يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهراً، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم، ووازرهم، وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء»[3].

٢ - ويعتقد أعضاء الحركة أنهم «الفرقة الناجية»، وبهذه القناعة يتحركون، ودليل ذلك - في نظرهم - أنهم يُحيون روح الجهاد في مسلمي نيجيريا.

٣ - تحريم التعلّم في المدارس النظامية من الابتدائية إلى الجامعة، لعدة أسباب؛ منها(٤):

- أن المسيحيين المنصّرين والمستعمرين هم الذي أسّسوا هذه المدارس منذ البدء لتخدم غايتهم في تنصير الأمة المسلمة، وقد كان نظام التعليم تابعاً للإسلام في بلادنا قبل مجيء المنصّرين، ولم يزل مستقيماً على الجادة حتى تغلّب المستعمرون على جنبات البلاد، فكرّسوا أنظمتهم على كلّ مرافق الحياة، ولأهمية نظام التعليم، لارتباطه الوثيق وتأثيره في الحياة، قد خططوه، وأفرزوا المناهج، وفق ما يحوّل المسلم رويداً رويداً إلى الكافر، أو العميل لهم.

- انتشار الاختلاط الممزوج بالتبرج في الفصول والقاعات وساحات المدارس، والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب : ٣٣]، واقتضى هذا انتشار الفواحش والرذائل كالزنا والسحاق واللواط.

- تعلّم بعض المواد والأفكار والنظريات المضادة للدين، نحو نظرية دارون في تطوّر خلق الإنسان، والتي تخالف قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم : ٢٠]، واعتقاد بعضهم وقوف الشمس ودوران الأرض حول الشمس، ونظرية الذرة بأنها لا يمكن

(١) يراجع:
http://www.informationnigeria.org/2012/02/wole-soyinka-on-boko-harams-hit-list.html?

(٢) محمد يوسف أبو يوسف الميدغوري: هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا، مكتبة الغرباء، ط الثانية، ١٤٣٠هـ، ص ١١٢ - ١١٩.

(٣) ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة، (١ / ٨١٩)، رقم ٤٥٧.

(٤) محمد يوسف: هذه عقيدتنا، ص ٨٢ - ٩٩.

خلقهـا ولا إفنائها تخالف قول الله تعالـى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧]، وأن للنطفـة روحـاً متحركـة يخالف قول الله تعالـى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة : ٢٨]، وأن المطر يعود إلى السـماء في الصيف، ثم ينزل في الربيع، يقول: «المطر مثلاً نحن كمسـلمين نعتقد أنه من عند الله، وليس من صنع الشمس»، تخالف هذه النظرية قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون : ١٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ...﴾ [النور : ٤٣].

وكان «محمد يوسـف» سوّغ موقفه وموقف حركته عدة مرات من تعلّم العلوم العصرية قائلاً: إن نظام التعليم الغربي يتعارض مع تعاليم الإسلام، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما لا يؤمن «أبو يوسف» بأن الأرض كروية.

٤ – رفضت الحركة العمل تحت الحكومات الديمقراطية الحالية، سـواء في الشرطة والجند والأمن، وسائر الوظائف الديوانيـة؛ لأن ذلك مـن جملة الطاعـة المطلقة لنظامها الكافـر، والله تعالى يقـول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود : ١١٣]، وبعد أن ذكر «محمد يوسف» جملة من الأحاديث قال: «فمجموع هذه الأحاديث تدل دلالة قطعية علـى أن العمل لا يجوز تحت الحكومة التي لا تحكم بالكتاب والسـنّة، إنما تحكم بالقوانين الشيطانية، وكذلك لا يجوز عمل الشرطة والجندية تحتها من باب أولى»[1].

رابعاً: مناهج الدعوة وآلياتها في الحركة:

تفترق كلمة «المنهج» عن كلمـة «المبدأ»؛ من حيث أن «المبدأ» هـو العقيدة العامة الكامنة فـي الضمير، يمضي نحوها صاحب المبدأ كفاية، وأما «المنهج» فهو الوسيلة التي رسمها صاحب المبدأ وهو يؤمن أن خطواته توصله مباشرة أو في نهاية المطاف إلى غايته، ولكل «مبدأ» وسـيلة يُتوصّل بهـا إليه، غير أنهـا تختلف من حيث المشـروعية وقابلية التطبيق.

ونتيجة لدراسة للمصادر المكتوبة، وما بثّه قادة الحركة باللغات الثلاث التي يَتحدثون بها (الهوسـا وكانوري، واللغة العربيـة) في خطبهم ودروسـهم ومحاضراتهم المخزّنة في الأشـرطة، اسـتخلصت أهم ما ظهر أنـه المنهج المختط لترسيخ المبادئ التي تريد الجماعة تحقيقها واقعياً.

ونجملها في النقاط الآتية:

١ – تشكيل الدولة:

تتطلـب الدولة – كلّ دولة – مقوّمات خاصة؛ من أهمها «الإمـام» الذي يقودهـا، ويكون رمـزاً لعناصرها، ومرجعاً لشؤونها، و «محمد يوسف» قد تمّت له «البيعة» بالإمامة من قبل عناصر حركته، ومن ثم كانت له صلاحية فرض الخوض في المعارك، وتحديد بنود الأمن والسلام.

ولهـذا الإمام نائب عام، وهو «أبو بكر شـيكَو»، وأمين عـام للحركة، وهو «محمد نور»، كما أن لكل ولاية من ولايات نيجيريـا أميراً، تحته مندوبون من جهات بلده، ومسـؤولون آخرون في كل الحكومات المحلية.

وللحركة مجلس للشـوري، ينظر في الأمـور الطارئة للتحقيق والمناقشـة وإبـرام الرأي الأخيـر، وكان «محمد يوسـف» قبل وفاتـه لا يحيد قيـد أنملة عمّـا ارتآه ذلك المجلس، فحينما قطع مجلس الشـوري – مثلاً – مشـورة البدء بالجهاد على أراضي نيجيريا؛ أعلن «محمد يوسـف» ذلك في المحاضرة المشـهورة بـ «الرسـالة المفتوحة إلى الحكومـة الفيدرالية»، وذكر فيهـا أن جماعته خاضت في صميم المعركة مع حكومة نيجيريا.

٢ – المنهج التربوي:

التربية التي يعتني بها أعضاء الحركة تجمع بين التربية الروحية والبدنية، أما التربية الروحية؛ فقد كانت مساجدهم مسـكناً، ومدرسة، ومراكز لقيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن، والأذكار، وكانت مرجعية الحركة يكررون على مسامع عناصرهـا ترك الذنوب، وكلّ ما يخدش المروءة، ويُسـقط الأعراض من حضور صالات الرقص، والسـينما، وشـرب الخمور، والزنا، والرياء والكبر والحسد والحقد، إلخ[2].

وأمـا التربية البدنية؛ فإنهم في بعض الأحايين يقومون

(١) محمد يوسف، هذه عقيدتنا، ص ١١٦.

(٢) في شريط ترجم فيه «محمد نور» خطبة الجمعة التي ألقاها «محمد يوسف»، أسماها بـ «حي على الجهاد» إلى لغة الهوسا.

في المساجد نفسها، يربّون أنفسهم على الرمي وبعض الأنشطة المقويّة للجسد، ولهم جولة على الأقدام كلّ صباح بعد صلاة الفجر، ويدعوهم الزعيم إلى التمرينات، ولو في البيوت، لإجادة الرمي والتصويب وسائر الأنشطة، وفوق ذلك هناك عناصر تقوم الحركة بتدريبهم تدريبات عسكرية في الفيافي، وإرسالهم إلى أصحابهم في العقيدة والحركة في البلدان النائية، والدول المجاورة.

٣ - المنهج التعليمي:

يقف منهج «بوكو حرام» التعليمي على الدروس المجلسية والمحاضرات، وإقراء الكتب في مساجدهم الخاصة، وبما أن ولاية «برنو» هي معقل الحركة؛ فإن لهم فيها أربعة مجالس كبيرة في «ميدغري»، وهي:

١ - مركز ابن تيمية: كان «محمد يوسف» يلقي فيه دروسه يومي السبت والأحد.

٢ - حارة دُوْكي UnguwarDoki : اتخذ فيها مجلساً لتفسير القرآن كلّ يوم الجمعة ليلاً، وهو أكبر مجالسه.

٣ - مسجد فِزَان Fizan : كان يلقي فيه بعض الدروس، وينوب عنه بعض الدعاة في غيابه.

٤ - مسجد مَفُوْني Mafoni : يلقون فيه المحاضرات العامة مرة أو مرتين في الشهر.

كان تركيزهم في بعض الكتب، أو المقاطع من بعض الكتب التي تحض على الجهاد، وتوضّح نواقض الإيمان، وتشمل الكتب المدرّسة لديهم: تفسير القرآن، وصحيح البخاري، ورياض الصالحين للإمام النووي، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر، والرسالة لابن أبي زيد القيراوني، والأصول الثلاثة وكتاب التوحيد (كلاهما للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، وأحكام الجنائز وكتاب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (كلاهما للشيخ الألباني)، والولاء والبراء للشيخ الفوزان، وغيرها، وقد بلغ من اعتناء «أبي يوسف» بالمجالس والدروس أن أصبحت هي شغله الشاغل على مدار الأسبوع، قلما تفوته إلا أن يذهب لدرس آخر في بعض المدن والولايات.

ومن جانب آخر لهم مدارس خاصة لتحفيظ القرآن للصغار، وبخاصة المدرسة الملحقة بمسجد ابن تيمية، كان الصغار يتعلمون القرآن مجوداً، ويحفظون الأوراد النبوية، وتلتزم المدرسة كذلك بالمظاهر والزي الإسلامي من لبس العمامة للفتيان، والحجاب للفتيات، وقد انتهز المدرسون في هذه المدارس فرصة للدعوة، وتطعيم الأطفال بعض الأفكار التي آمن بها بعض زعماء الحركة، كتحريم مشاهدة التلفاز، وغير ذلك.

ويفضل أعضاء الجماعة استخدام اللغة العربية في التحدث والتخاطب، ولعله من أجل مكانة اللغة في دين الإسلام، وهو اللغز الذي عسر فكه لدى بعض الشعب، فظنّوا أنهم ليسوا بنيجيريين، وإنما أتوا من بعض الدول الإفريقية، وحاولت القيادات تمييز الجماعة عن باقي الحركات السلفية، لحد أنهم يعدّون سائر أهل السنّة كسالى، وهذا صريح في بعض خطابات «محمد يوسف»، وكان يصب جام غضبه على كسالى من العلماء، على أنه في بعض الأحايين كان ينهى أعضاء الحركة عن إطلاق كلمة «الطاغوت» على العلماء[١].

٤ - المصادر العلمية المعتمدة لدى الحركة:

تقول قيادات حركة «بوكو حرام» إنهم يعتمدون على فتاوى العلماء السابقين في كلّ ما يقولونه من رأي، وكان من دأب زعيم الحركة أن يذكر أسماء المراجع والمصادر التي هي كالقطب لحركته، أو لرأي ذهب إليه، يذكر مثلاً كتاب الشيخ بكر أبي زيد رحمه الله تعالى «المدارس العالمية الأجنبية»، وكتاب «مدارك النظر في السياسة: بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية» للشيخ عبد الملك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري، وكتاب «حكم الجاهلية»، وهي مجموعة مقالات وتعليقات للشيخ أحمد محمد شاكر- جمعها ابنه الأستاذ أسامة، وكتاب «العلمانية» للشيخ أحمد شاكر أيضاً، وقد صرّح «محمد يوسف» في بعض أشرطته أنه تأثر جداً بهذا الكتاب[٢].

ومن المصادر التي تعتمدها مرجعية «بوكو حرام» أيضاً: «فتاوى اللجنة الدائمة»، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب ابن القيم، وتفسير ابن كثير، وفتاوى بعض العلماء المعاصرين أمثال الشيوخ: الألباني، وابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم.

وتكرر قيادة هذه الحركة أن ما أتت به من الفتاوى في القيام ضد الحكام الظالمين، وتحريم التعليم على

(١) شريط «كشف الشبهات».

(٢) شريط «كشف الشبهات».

نمط «بوكو»، وما إلى ذلك كله مستقى من فتاوى العلماء السابقين، ليسوا هم من استنبطوها، وما لهم فيها إلا قراءتها وتفسيرها وترجمتها إلى لغة الهوسا، بالرغم من أنه - في الحقيقة - ليس بالضروري أن يكون الكلام المذكور هو الرأي الذي يعتقده ويفعله - عملياً - العالم المنقول كلامه، ومع ذلك يتحدى «أبو يوسف» كلّ من كان يرى أن دعوته أو ما يقول، فيه: «المغالطة» و «الخطأ»، أو «سوء الترجمة»، أو «عدم الفهم»، و «طفولية التفكير»، و «عدم النضوج في العلم» - أن يتقدم مشكوراً ليعيد النظر فيما يقوله، ويبين للناس الحقيقة! وكرّر ذلك قائد الحركة الحالي بأن تأويلات المتأولين لإقرار النظام الديمقراطي، وتثبيت إمكانية تحالف علماء المسلمين مع المسيحيين، كلّ ذلك هُراء لا أساس له، ولا يصرفهم عن تنفيذ أمر الله تعالى.

خامساً: علاقة «بوكو حرام» بتنظيم القاعدة:

يظهر «الانتماء الروحي» لهذه الجماعة إلى تنظيم القاعدة في الاستشهادات بأقوال رموز القاعدة التي يكثر منها زعيم الحركة، حيث ينقل مثلاً عن أبي مصعب الزرقاوي، ويصفه بـ «المجاهد»[1]، وغيره.

واتضحت مؤخراً علاقة حركة «بوكو حرام» مع تنظيم القاعدة في بعض المواقف، وهذا ما بيّنه «موسى تكو» الناطق الرسمي باسم الحركة - في النشرة الهوساوية بإذاعة BBC - بعد مقتل قائدها، حيث أكد انضمام حركتهم إلى تنظيم القاعدة[2]، وقد يكون لهذا البيان تفسير آخر، وهو بثّ الروع بين صفوف رؤساء الدولة، ورجال الأمن، دون أن يكون له أثر واقعي.

وحسبما تنقله بعض وكالات الأنباء في مواقعها على الإنترنت؛ فإن هذه الحركة قد تمّ استدعاؤها من قبل أمير تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي الجزائري (أبي مصعب عبد الودود) للانضمام في مظلة القاعدة، وكان من ضمن أطروحته التي صرّح بها لهم: أنه يحلم بتوسيع منطقة نفوذه لتشمل نيجيريا[3]، ولكن بعض المصادر تؤكد أن الحركة على علاقة وطيدة مع التنظيم من خلال السلفية الجهادية في الجزائر، والثوار في تشاد، وخصوصاً أن ولاية «برنو» تجاور جمهورية تشاد، وقد تمّت الاتفاقات بينهم وبين «أبي يوسف» طيلة دعوته إلى مبادئ الحركة[4].

ولا يعني سرد هذه الأخبار هنا التصديق بها كلياً، غير أنها على أية حال مؤشر إلى انتماء الحركة - ولو فكرياً - إلى تنظيم القاعدة - إن صحّ التعبير!

سادساً: التمويل في حركة «بوكو حرام»:

بنى بعض المحلّلين على تلك الأخبار السابقة - وغيرها، مما تجمّع لديهم- أن تنظيم القاعدة هو المورد الأساس والمموّل الأول للحركة؛ بينما يرى بعض آخر أن بعض رجال الدولة النيجيرية لهم دَخْل حتى النخاع في استثارة «محمد يوسف» ضد الحكومة، ويموّلون كل نشاطاته[5].

ويقول آخرون إن هناك بعض الأثرياء، قد تكونت العلاقة الوثيقة بينهم منذ انتماء «أبي يوسف» إلى جماعة أهل السنّة والجماعة في التسعينيات، فهؤلاء الرجال هم الذين يتكفلون برأس مال الحركة.

هذه التكهنات من الأمور التي تحتاج إلى مستند قوي، نعم! للباحثين أن يسألوا مَنْ يموّل محمد يوسف في حياته؟ إذ أنه لم يرث هذه الأموال، وليس ببائع عقارات، ولم يشتهر بالتجارة، ولا كان موظفاً - في أبعد الافتراضات -! وإنما صرف همّه إلى الدعوة، بيد أنه دافع عن نفسه بأن له إخوة يقومون باستثمار أمواله، ويفلحون أرضاً لهم كبيرة، ومع ذلك لم يقتنع الناس، لمّا تحققوا من قيامه بحاجات فوق مستوى دخله، الأمر الذي يدل على أن تحت الدخان تتأجج النيران!

لذلك لم يزل الناس يتساءلون طالبين الجواب الكافي: ما المصادر المموِّلة التي تمّد «محمد يوسف» حتى يذبح

(١) محمد يوسف: هذه عقيدتنا، ص ٦٥.

(٢) محيط - جيهان مصطفى: بوكو حرام.. كابوس أوباما في نيجيريا.

(٣) مقال بعنوان: «طالبان الجزائر تمد يدها إلى طالبان نيجيريا»، على هذا الموقع:
http://www.alqanat.com/news/shownews.asp?id=115110

(٤) الراصدات، مقال بعنوان: «حقيقة جماعة بوكو حرام بنيجيريا»، موجود على هذا الموقع:

(٥) RafiuOriyomi IOL Correspondent. Nigeria's Boko Haram. Thu. Jul. 30. 2009: Islamonline.net

لتابعيه الساكنين في المركز شياهاً وأبقاراً كلّ أسبوع، ويفعل أشياء أخرى لا يمكن لرجل عادي أن يقوم بها - كما يرى بعض المحللين - إن لم تكن هناك جهة خفية تموّله؟! هذه تساؤلات يرددها الصحافيون والمتابعون لنشاط الحركة! وصرّح الرئيس جونثان بوجود عناصر الحركة في حكومته، لكنه لم يذكر التفاصيل، لا هو ولا أحد الوزراء أو أعضاء الحكومة!

صحيح أن بعض أعضاء الحركة من الولايات المختلفة قد باعوا ممتلكاتهم من البيوت وحُلي النساء استعداداً للجهاد، وذلك في بداية الأمر، وجمع ناشطو الحركة من التجار ما يرونه مناصرة لها، ولم تخرج هذه المسألة لحدّ الآن من الغموض؛ إذ الحركة استمرت في نشاطاتها من غير أن تعوزها النفقة!

سادساً: تأثيرات الحركة في الدعوة داخل نيجيريا وخارجها:

لا شك أن ما يحدث في شمال نيجيريا له انعكاسات سلبية على الدعوة، من جانب أن أعضاء الحركة لهم انتماء قوي إلى أهل السنّة، الأمر الذي اتخذه بعض أعداء السنّة من النصارى وأهل البدع ذريعة للطعن في أهل السنّة كافة، ويقومون بتحريض الحكومات ضدهم، وهذا - والحمد لله - لم يؤثر كثيراً، بسبب الجهود التي ما يزال علماء أهل السنّة يقومون بها لتوضيح منهج السنّة، وتوجيه النصائح إلى قيادات «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد».

غير أن أعداء الإسلام استفادوا من ثورة هذه الحركة، حيث لوّحوا بوضع شمال نيجيريا في قائمتهم السوداء للإرهابيين، وكان من نتائج ذلك أن هرول رؤساء نيجيريا يستنجدون بأمريكا وإنجلترا في مواجهة هذه الحركة، وجرت بينهم اتفاقيات؛ من ضمنها أنهم يقومون بتدريب القوات الأمنية النيجيرية على مكافحة الإرهاب، وتقوم أمريكا بفتح مكتب عريض، أو قنصلية في ولاية «كانو»، حدث هذا بعد المواجهات التي حدثت في الولاية، ولا يتوقع أي مردود إيجابي للشعب إزاء تلك السياسات.

سابعاً: موقف العلماء والعامة من الحركة وأفكارها:

تصدّى علماء أهل السنّة للمنهج الذي اتخذته «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد» منذ بدايتها، موضحين لقياداتها الزغل المنطوي في منهجهم، كما قاموا بمحاضرات وإصدار كتيبات ومقالات شارحة للمنهج السوي، وجرت مناظرات بين بعض العلماء وقيادات الحركة حول توجهاتها، ولكن أعضاء الحركة يرمون علماء أهل السنّة بالكسل، وعدم التحرك لنصرة الدين.

وقد بيّن العلماء أن الأمر يحتاج إلى اتباع الحكمة والموعظة الحسنة، وليس الأخذ بمنهج العنف ولغة السلاح، ومن جانب آخر، يرون هذه الحوادث فتنة تحتاج إلى التؤدة والدعاء، لذلك يجتهدون في دعاء القنوت في مساجدهم.

وأما العامة: فإن موقفهم لم يتغير عن موقف العلماء، لكنهم لا يشعرون تجاه القوات الأمنية النيجيرية بأسى أو تحسّر لما يصيبها، ويرون أنه قصاص لما يلاقيه الشعب على يد رجال الأمن من التعذيب والتصفية الجسدية.

الخاتمة:

هذا البحث استعراض وجيز لتاريخ حركة «جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد» (بوكو حرام)، والإشارة إلى الدوافع إلى نشأتها والغرض منها، وثبت لنا أن الحركة لها كيان مؤثّر، وأنها ليست جمعية ربحية، ولا تعمل لأي جهة رسمية أو غير رسمية، ولها اهتمام بطلب العلم الشرعي ونشره، والنهي عن الانضمام في المدارس النظامية الموجودة لمضادة جوانب في مناهجها لتعاليم الإسلام.

ولكن لم يظهر لحد الآن ما يثبت أنها تكفّر سائر المسلمين، وإنما حصرت قتالها ضد ثلاث طوائف، وهم: قوات الأمن، والنصارى، والوشاة بهم، وقد قتلت الآلاف من هذه الطوائف، بمن فيهم أفراد من سائر الشعب، وتعتقد الحركة بذلك أنها تسعى لإعادة الدولة الإسلامية في أرض نيجيريا.

وقامت الحكومة النيجيرية بدحر اعتداءات رجال «بوكو حرام»، واتبعت كل وسيلة متاحة لاصطياد عناصر الحركة، وقد نجحت في إلقاء القبض على ثلاثة من كبار قياداتها.

ويرى الشعب أنه قد طال أمده تحت ظلم الحكام وفساد السياسيين، وهذه المرة قد دارت الكرّة على الظالمين أنفسهم، وبالرغم من ذلك ما زال الرعب مطوقاً لقلوب الشعب النيجيري عامة، لذلك ما زالوا يدعون الله تعالى أن يرفع هذه الفتنة، وينحيها عن هذا الوطن.